

الوظيفة الانفعالية للغة الأخلاق - دراسة تحليلية

أ. د. نوال طه ياسين

كلية الآداب - جامعة البصرة

الكلمات المفتاحية: اللغة الانفعالية، السيميوطيقا، الأخلاق

المخلص:

على الرغم من الخاصية الأرسقراطية التي تتمتع بها اللغة الأخلاقية، إلا أن صيغها اللغوية أخضعت للتحليل اللغوي، وفلاسفة اللغة على كافة مشاربهم يرمون إلى تحليل لغة أخلاق الفيلسوف والإنسان العادي لتوضيح استعمالها، إلا أن بيان هذا الاستعمال كان يقتضي البحث في وظيفتها، إذ ميز فلاسفة اللغة بين وظيفتين رئيسيتين هما الوظيفة الوصفية والوظيفة الانفعالية، واعتقدوا أن الوظيفة الأولى هي الوظيفة النموذجية الجديرة بالبحث الفلسفي وحاولوا أن يجعلوا من العبارة التقريرية قالباً تُقد عليه عنوة كل صور التعبير اللغوي، والقصد منها استعمال اللغة كأداة رمزية تشير إلى وقائع العالم الخارجي، ولكن أدرك فلاسفة اللغة أن اللغة استعمالات متنوعة، فهناك اللغة الانفعالية التي تشتمل على كافة الجمل كالأمر والنهي والتمني... والتي تنتمي إليها اللغة الأخلاقية... الخ، وأصبح هناك استعداد لتقييم كل ما يُقال على شرط ألا تستعمل الكلمات بشكل سائب.

المقدمة:

هناك نظريات عدة حول حضور الانفعالات في البحث الفلسفي، غير أن تقديم كل تلك النظريات مسألة ليس بالإمكان أن النهوض بها، ويكتفي الباحث بالإشارة إلى بعض التصورات الفلسفية لهذا الموضوع، إذ تم طرح سؤال ما هي الانفعالات؟ مراراً وتكراراً، أهي بحث فلسفي أم سيكولوجي؟

صحيح إن الانفعالات موضع اهتمام المشتغلين بعلم النفس وعلم الاجتماع، لكنها أيضاً موضع اهتمام البحث الفلسفي منذ نشأته، فالفلاسفة العقليون نظروا بعين من الارتياب إلى المعرفة الحسية، لأنهم يعتقدون أن المعرفة تأتي عن طريق المفاهيم التي يستند إليها العقل، وموقفهم من الحواس انسحب على موقفهم من الانفعالات، إلا أن ذلك لا يعني أن كل الفلاسفة أهملوها بل كان لها حضوراً في البحث الفلسفي بصرف النظر عن مآربهم، سواء أكان لإقصائها كما فعل الفلاسفة العقليون، أم لاستحضارها كما فعل التجريبيون والحدسيون.

وحتى لو كان بعض الفلاسفة ينفون أن يكون لها مركز الصدارة من منطلق أن الفلسفة أولاً وقبل كل شيء تفكير عقلي، لمثل هذه الأسباب، يرى البعض أن من الواجب النأي بلغة الأخلاق عن الاعتبارات الانفعالية وتأسيسها على مفاهيم عقلانية بحتة كما فعل افلاطون، وكانط مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الأخير حينما أقصى المفاهيم الانفعالية من الأخلاق عاد واستثنى مفهوم "الاحترام" من ذلك الأقصاء .

وهناك فلاسفة آخرون اعتقدوا أن المفاهيم الأخلاقية تقوم على أسس انفعالية متينة لا تنفك عنها، لأنهم ادركوا أن سلة المفاهيم التي يتناولها العقل بالبحث ستكون فارغة لو فقد الإنسان حواسه الخارجية وقدرته على الانفعال، بل انه سيغدو انساناً آلياً، وفي ذلك آية على ان الانفعالات تقبع في قلب الجدل الفلسفي، لأنها تؤدي دوراً حيويًا في الحياة بصورة عامة، وفي البحث الفلسفي بصورة خاصة، وليس هذا وحسب، بل أن الفلاسفة أضحو أكثر انشغالاً بالانفعالات، لأنها تتعلق بفلسفة اللغة على وجه التحديد .

ولمناقشة ما تقدم تناولت الدراسة النظرية الانفعالية عند الفلاسفة الانفعاليين من حيث رؤيتهم النقدية واداناتهم التي عقدها لمشكلة المعنى، وتقديمهم المعنى الانفعالي بوصفه معنى مكملًا لنظرية المعنى، فضلا عن انهم أزروا بينه وبين الفهم العقلي للأخلاق. وبناء على ما تقدم ان البحث ليس معنيًا بدراسة الانفعالات بقدر ما يُعنى بدراسة المعنى الانفعالي للمفاهيم الأخلاقية والمنهجية التي اتبعها فلاسفة اللغة لتحليله

أما عن منهجية البحث، فالباحث ليس في وسعه القول انه اعتمد منهجية واحدة في هذه الدراسة، لذلك كان تارة يتعقب المفاهيم، وتارة يحللها في ضمن النصوص الواردة فيها تحليلًا يكشف عن المعنى المتخفي، وتارة أخرى ينقدها، وهذا يعني ان كل منهج كان يقدم عونًا ويكمل للمنهج الآخر مهمته .

أولاً/ النظرية الانفعالية في اللغة والأخلاق وأهم ممثلها في الفلسفة المعاصرة:-

إن عبارة النظرية الانفعالية تومئ الى أن لهذه النظرية فلاسفتها الذين تبنا آراء معينة وعبروا عنها بصيغ مختلفة، استلهموا بعض آرائهم من سابقين، واستلهمت آرائهم من قبل اللاحقين، ويتحقق ذلك من خلال تناول الموضوع من جانبيين مختلفين .

أ-التعريف بالنظرية الانفعالية:-

لم تظهر الانفعالية بوصفها نظرية حتى أصبح الحديث عن تنوع المعنى اللغوي أمراً مشروعاً. وهي من ضمن المذاهب التي هيمنت على المشهد الفلسفي اللغوي والأخلاقي في القرن العشرين (Warnock, 1967,p.204)، وأطلق عليها بالنظرية الانفعالية لأنها أعطت المزيد من الاهتمام لانفعالات الفرد التي يوظفها لتشكيل الأحكام الأخلاقية" (Kirchin, 2012,p.125)، وتعد نهج جديد لفهم اللغة الأخلاقية (Potter,2006,p.1)، اذن هي نظرية حول (لغة الأخلاق)، بما فيها من كلمات، عبارات، وأفعال كلام، حتى امتدت لتغطية علم الجمال أيضاً (Hume, p.240)، ومن

الجدير بالذكر أن الأحكام الأخلاقية بوصفها أفعالاً للكلام (Borchert, 2006p.203)، تضع في نظر الاعتبار عاملين هما:-

العامل الأول: معنى المفاهيم الأخلاقية .

العامل الثاني: وظيفة المفاهيم الأخلاقية، وهي مسألة تتعلق بالمتكلم، فالأحكام الأخلاقية تعبر عن انفعالات المتكلم، وتعلق بعلاقة المتكلم بالجمهور، والهدف من التعبير عن الأحكام الأخلاقية الثناء على المواقف، وإثارة الانفعالات ذاتها في الجمهور، وتعتقد النظرية الانفعالية - بوصفها اتجاه غير معرفي- أن الاتجاه المعرفي يؤول إلى أن الصيغ اللغوية التي تتشكل بها الأحكام الأخلاقية بأنها على صواب، بينما هي ليست كذلك، "لذا يجب وضع المزيد من الأهمية لحقيقة أن الناس في حياتهم اليومية مخطئون حول ما يجري في خطابهم الأخلاقي؟" (Fisher,2011,p.37)، لأن شرح الجدل العقلاني للممارسة الأخلاقية في أحسن الأحوال غير ممكن، وفي أسوأها مستحيلًا، فأخلاق كهذه يفترض أن تكون مختلفة جداً عن المطالبات التي تدعي التعبير عن المعتقدات، فالمعتقدات ترمي لتمثيل العالم، أما الانفعالات، فليس لديها إمكانية ذلك التمثيل، فهي بعيدة المنال للحكم على أفعال الحق والباطل (Smith,2005, p.219)، وإن عبرت الأحكام الأخلاقية عن شيء فإنها تعبر عن انفعالات إيجابية أو سلبية (Gensler,2004,p.6)، وأليتها التعبيرية تحمل تشابهاً مع من يتفوه به (آخ) للتعبير عن الألم أو لقول شكراً للتعبير عن الامتنان (Borchert,2006, p.204).

وهذا يعني أن المحفز على الحكم يأتي من الخارج، "فهي مذهب خارجي Externalism ينكر المذهب الداخلي Internalism، إذ يدعي الأول أن القوة الانفعالية للعبارة الأخلاقية تعتمد على عوامل خارجة عن العبارة الأخلاقية ذاتها، وهي كمنظرة تعتمد على القوة الانفعالية للأحكام من حيث أنها تنظر إلى رغبات الفاعلين، والقوة الانفعالية لهذه الأحكام يمكن معرفتها لاحقاً" (Brink,1989, p.42).

ومن المهم عدم خلط الانفعالية مع الذاتية، فعلى وفق النموذج البسيط من الذاتية، فالحكم الأخلاقي الذي يصدره الفرد (القتل خطأ) يأخذ بعدين (Miller, 2003,p.36):

- 1-أما أنه يعبر عن عدم موافقته الذاتية على القتل .
- 2-أو يعبر عن انفعالات المجتمع ككل، لأن معظم الناس في المجتمع لا يوافقون على القتل . وعلى وفق الذاتية الأحكام الأخلاقية تقول شيئاً عن الانفعالات بل إنها تقرير عنها .

أما النظرية الانفعالية فتعتقد أن الأحكام الأخلاقية شكل من أشكال الإسقاط projectivism فعندما نصدر حكماً تقييمياً، فنحن نتعامل مع الخطأ كخاصية لفعل القتل، وتوضع عبارة (القتل خطأ) على قدم المساواة مع عبارة (الذهب هو معدن) بمعنى أن كلاً من (خطأ) و(معدن) هما خصائص حقيقية، لكن على وفق الانفعالية أن الخطأ ليس خاصية للأشياء عندما نتخذ

موقفًا تجاهه، بل الأفراد هم من يسقطون انفعالاتهم على العالم (Miller, 2003,p.38)، وهذا التشابه السطحي، هو ما جعل البعض يعتقد أن الحكمين متشابهين، هذا من جهة . ومن جهة أخرى تختلف الانفعالية بصورة جذرية عن الذاتية، إذ تنفي الانفعالية أن الأحكام الأخلاقية هي تمثيل للحقائق، ومن باب أولى أنها ليست تقارير حتى عن الانفعالات الذاتية فهي كمذهب فلسفي يفهم عبارة (هذا خير) على أنها تعني الرغبة فالخير تعبير دال على التمني، على العكس من الذاتية بياناتها تعبر عن حالة الفرد النفسية ولذلك تكون صحيحة أو خاطئة . لذلك لا تصدر النظرية الانفعالية أحكاماً وإنما تعبر عن المواقف-الموافقة أو عدم الموافقة- نحو وجوه التقييم بدلا من تقديم تأكيدات حول خصائص موضوع ما، ويترتب على ذلك نتيجتين

1-الأحكام الأخلاقية لا صحيحة ولا خاطئة .

2-الأخلاق والمعرفة الأخلاقية غير ممكنة (Audi,p.260) .

وهذا النوع من التفكير حول القضايا الأخلاقية، يقدم نظاما من القيم، بأن لكل فرد الحق في الحياة، الحرية، والسعي لتحقيق السعادة، فاذا اتفق بعض الأفراد مع النازيين يجب أن نكون صادقين مع من تربطهم بهم من أواصر كالدّم، ولكن ليس مهماً مهماً أن نكون كذلك مع آخرين، فاستنتج أن العنصرية هي الصحيحة، اذا بالإمكان التفكير حول الأخلاق إذا افترضنا نظاما من القواعد في الواقع، ولكن لا يمكن التفكير حول المبادئ الأخلاقية الكلية، إذ لا يوجد أي معنى في أي نظام من القيم الموضوعية أكثر صحه من أي نظام آخر (Gensler,2004, p.6) .

إن هذا الموقف غير المسبوق من الأخلاق الذي تقدمه النظرية الانفعالية بوساطة التحليل غير الوصفي للغة الأخلاق، بقدر ما يميزها بوصفها نظرية لغوية الطابع، الا أنه يضع حدا فاصلا بينها وبين أسلافها من الانفعاليين كهيوم على سبيل المثال، لأن التحليل غير الوصفي الذي تقدمه النظرية الانفعالية يبدو مصدراً لكل الصعوبات، لذلك سعى البعض الى تلافيه، والبعض جعل منه موقفا غير قابلا للتغيير، وبالإمكان ملاحظته من خلال ممثلها وتحليلهم للحكم الأخلاقي . معلنين ذلك أن الأخلاق تختلف عن العلوم في أن مادتها الأساسية انفعالات وليست مدركات حسية، والحكم الاخلاقي لا يقرر حقيقة واقعة، بل أنه يقرر أملاً في شيء أو خوفاً منه، أو رغبة في شيء أو عزوفاً عنه، أو حباً لشيء أو كرهاً له، وأن كل ذلك يحدث بصورة مقنعة، لذلك ينبغي أن يوضع مثل هذا الحكم في صيغة التمني أو الأمر لا في صورة عرض لحقائق معينة (رسل، ص 17) .

وفي السياق ذاته يشير رسل الى أن ارتباط الأخلاق بالانفعالات يبدو جلياً، إذا تأملنا فكرة وجود عالم مكون من المادة غير الواعية وحدها، فمثل هذا العالم لن يكون خيراً ولا شراً، ولن يكون صواباً ولا خطأً (رسل، ص 17)، وما منع الفلاسفة أن ينظروا الى هذه الحقيقة إلا استعمال الطابع العقلي الذي أضفاه سقراط على الأخلاق، كما فعل الكثير من سابقه، في تشييد مذهب

أخلاقي يقلل من شأن الانفعالات (ريشباخ، ص 59)، ولذلك حدد رسل معنى العقل سائراً على خطى هيوم فقال: "لهذه الكلمة معنى واضحاً ومحدداً، فهي تعني اختيار الوسائل الصحيحة لغايات نريد تحقيقها، وليست لها أية علاقة باختيار الغايات، والناس يجنحون الى التبرير العقلي أكثر من اللازم لأنهم يغالون في الدور الذي يستطيع العقل أن يؤديه، فدعاة العقلية يريدون من العقل أن يملي الغايات كما يملي الوسائل؟ إلا أن هناك عبارة لهيوم أن العقل هو عبد للانفعالات، ويجب أن يكون كذلك، وهي تعبر عن رأي يحظى بتأييد كامل من جانبي ومن جانب كل شخص يحاول أن يكون معقولاً، فالرغبات أو العواطف، أو الانفعالات ولك أن تختار الكلمة التي تشاؤها، هي الأسباب الممكنة للتصرف، والعقل ليس سبباً في التصرف لكنه المنظم له فحسب" (رسل، ص 4).

وربما كانت أسوأ نتائج الموازة بين مجالي الأخلاق والمعرفة، سيادة نظرة في عهد الرواقيين بين الناس أن الفيلسوف انسان بلا انفعالات، وأدت تلك النظرة الى شعور غير الفلاسفة من الناس إن فهم نقصاً، وذلك عندما يجدون أنفسهم عاجزين عن تحقيق مثل هذه الحكمة-على حد تعبير ريشباخ-، إذ يقول: "ولكني لا أستطيع أن أجد سبباً الى تمجيد الفلاسفة لهذا النمط غير المنفعل، فأنا لا أود أن أصرف أولئك الذين يجدون متعة في عدم الانفعال، عن هذا النوع الخاص بهم من اللذة، ولكني لا أرى سبباً يدعو البقية منا، ممن تتخذ لذاتهم صبغة أكثر انسانية، الى أن يشعروا بالنقص، فما يجعل الحياة جديرة بأن تعاش هو الانفعال، وهذه القاعدة تنطبق على الفلاسفة أيضاً" (ريشباخ، ص 59).

ما تقدم يوضح السبب في عدم توافق النظرية الانفعالية مع أنموذج الفلسفة الأخلاقية العقلانية التي تعتقد أن الخطاب الأخلاقي هو أسلوب الخطاب العقلاني وفي الوقت نفسه هو السبب في توافق فلسفة هيوم السببية مع التفسير السببي للخطاب والفعل الأخلاقي على حد سواء (Feigl, 1958, p.285).

فالتفسير السببي للفعل يبرر العمل، من حيث إعطاء الدافع للفعل لا للتفكير، فحين نتحدث عن الدافع الخطأ الذي يدل على أن الباعث للفعل على نحو ما ليس لديه أسبابا عقلية مبررة، لأن العمل لا يمكن تبريره إلا بالرجوع إلى الانفعالات التي تكون سببا للعمل (McGuinness, 2011, p.178)، هكذا تبدو العلاقة السببية بين المفهوم بوصفه رمزاً وبين الظروف النفسية والاجتماعية وهو الهدف الذي من أجله تتشكل الاحكام بوصفها مفاهيماً أخلاقية.

ولا يمكن اقامة الدليل أو نقضه فيما يتعلق بصحة القول بأن هذا أو ذاك هو الخير النهائي، إذ أن كل متنازع يستطيع أن يحتكم الى مشاعره الخاصة ويلتجأ الى استعمال تلك الحيل البلاغية القادرة على اثارة الانفعالات في الآخرين (رسل، ص 230)، وهكذا يبدو للفيلسوف الذي يحدد الخير لا يعبر عن رغباته الشخصية، وإنما يرسم الطريق للسعادة البشرية، وفي الوقت

نفسه يبدو علم الأخلاق محاولة لإضفاء الأهمية العامة وليس الخاصة على رغباتنا (المصدر نفسه، ص 233). والدليل على ذلك الواعظ، فالواعظ لا يستطيع خلق الانسجام بين رغباته ورغبات الآخرين إلا من خلال مخاطبة الانفعالات (المصدر نفسه، ص 235)، فكم من دارس للفلسفة يقبل على محاضرات بحثاً عن المواعظ والارشادات، ويقرأ افلاطون كما يقرأ الانجيل، ويشعر بخيبة الأمل حين يضطر في درس للفلسفة الى سماع عرض للنظرية النسبية، ان على من يريدون المواعظ ان يحضروا دروساً في الانجيل، وليس لهم ان يتوقعوا ان يهتدوا اليها في مكان لا مجال لها فيه، ان الفيلسوف العلمي لا يريد ان يقلل من قيمة الانفعالات (ريشباخ، ص 271)..

بالتأكيد أثرت الانفعالات التجريبية الاخلاقية، وهي كفكرة تعد جذابة لانها تجنبت النظر الى الانسان ببعد واحد، بل ركزت على التفاعل المتبادل بين بعديه (العقل والانفعالات) لان ترك أحدهما يدوي يعني فقد مصدر من مصادر الحكم الأخلاقي، ولكن يجب الأخذ بنظر الاعتبار الحفاظ على تمايزهما .

لكن التجربة الاخلاقية بدت بهذه الصورة غريبة بعض الشيء "فخير الشيء لا نستطيع أن نراه كما نرى لونه، على الرغم من أننا نعتقد أن الحواس هي الوسيلة التي تعتمد عليها الخصائص الأخلاقية، والوصول إلى العالم الأخلاقي يكون عندما تكون تجربة الانفعالات الأخلاقية قوية، بيد أن هذه الانفعالات (لخصائص والعلاقات الأخلاقية) هي ليست تجريبية، والوعي بها ليس حسيًا بل هو نوع مختلف من الوعي، انه الحدس (Strawson,1953, p.50)، لكن من وجهة النظر المنطقية التجريبية تجد أن الفلسفات الأخلاقية النابعة من الحدس الأولي، أو الوحي الالهي، تجد أنها طرق يكتنفها الغموض في المعنى، والقيم المطلقة والأوامر الكلية لا يمكن التعبير عنها الا في لغة انفعالية (فايجل، 1963، ص 180).

ومن الواجب القول أن الأصل الانفعالي للأحكام الأخلاقية لا يعني أن الحكم يؤكد وجود الانفعال الأخلاقي في ذهن الشخص الذي ينطقه، قد يفعل ذلك دون الشعور بأي انفعال، فقول أن الفعل جيد أو سيئ مجرد تعبير عن عاطفة تتعلق به، كالقول بأن الشمس ساخنة مجرد تعبير عن الإحساس بالحرارة التي تنتجها الشمس، فصفات الموضوعات الأحكام الأخلاقية ما هي الا تعميمات مستمدة من انفعال الموافقة أو عدم الموافقة، أنها نزعات حيوية يشعر بها الفرد فينفعل وتفسر على أنها صفات (Westermarck,2011,p.50)

وهذه الخاصية الأخلاقية قابلة للوصف بعبارات تجريبية، وهو سبب في القول أن الإدراك الحسي هو شرط ضروري، وإن لم يكن كافياً للحصول على معرفة حول النظام الأخلاقي، ليس بالحدس العاري عن الانفعالات الأخلاقية، ولكن بوساطة اعتماد أدوات المعرفة بعضها على البعض الآخر، فالانفعالات والأحكام ترتكز على الحدس والحواس، فقد يكون الانفعال حارس البوابة إلى العالم الأخلاقي، لكن الحدس هو بوابتها (Strawson,1953, p.50).

إن هذا النوع من الانفعال الذي عرضه الفلاسفة ليس معنى مجازياً، إنما معنى حقيقياً لأنه مصحوباً (بالوعي)، فبقدر ما ينفع الإنسان تجاه موقف معين، بقدر ما تعتره الرغبة في التعبير (تشكيل) حكماً ما، لأن الانفعالات السجينة ترغب في الفرار من قيدها، لتعلن عن نفسها بالمفاهيم، وينطق بالحكم الأخلاقي من تلقاء نفسه ولا يستطيع الفرد إيقافه، وهو ما كان يعني به وسترمارك بأن الشخص يفعل ذلك دون الشعور بأي انفعال، لكنه لا ينفى وجود الانفعال فتأتي الأحكام تلقائية من الطبيعة البشرية إلى الطبيعة البشرية دون زيف المفاهيم .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن صورة الأحكام الانفعالية هذه تعدّ صورة معاكسة لصورة الأحكام الأفلاطونية، وإن صوت المفاهيم الالتزامية موجه إلى الانفعالات من العقل، ومثلها بالعربة والحصان الذي يقودها، ولذلك أفلاطون وغيره من الفلاسفة العقلين (الموضوعيين) وجدوا غرابة في الاعتراف بأهمية الجانب الانفعالي في التجربة الأخلاقية وصوروا الأخلاق (معرفياً) لكن نظرة كهذه هي التي تفتقد إلى الموضوعية لأنها تنظر بعين واحدة .

ب- فلاسفة اللغة الانفعاليون بوصفهم ممثلين للنظرية:-

إن أول الحقائق اللافتة للانتباه، والتي ينبغي تأكيدها، أن هذه النظرية عبارة عن ردة فعل على النظرية الحدسية لجورج مور. وهناك دليلان على ذلك:-

الأول لأوجدن وريتشاردز: إذ قالوا: "أن عدم امكانية تعريف مفهوم الخير أبرزها مور في كتابه المبادئ" (Ogden, 1923,p. 228) ، وبناءً على ذلك كان استعمال مور للمفهوم استعمالاً انفعالياً محضاً (Ayer, 1984,p29) .

الثاني لماكنتير: إذ يعتقد أن النظرية الانفعالية ازدهرت في القرن العشرين استجابة لمجموعة من النظريات التي ظهرت، لا سيما في انكلترا، من (1903-1939) وهي السنة التي ظهر فيها كتاب مور المبادئ (MacIntyre, 2007,p.16). لذلك "ليس من قبيل الصدفة أن يظهر طيف الحدسية عند مؤسسي الانفعالية في تفكير فلاسفة مثل رمزي، أوستن، دنكان جونز، وستيفنسون، فهؤلاء تتلمذوا على يد جورج مور (Ibid, p17) .

ولكن بذات الوقت الحقيقة التي ليس بالإمكان انكارها أن التصريح بها بشكل واضح كان من ريتشارد وأوجدن لأول مرة في القرن العشرين في كتاب معنى المعنى عام 1923، لأن مور وإن أكد على دور اللغة في دراسة الأخلاق، وقال بعدم امكانية تعريف مفهوم الخير، إلا أنه فيلسوف معرفي يقر بوجود الوقائع الأخلاقية .

وتعود اجمالاً إلى مناقشات حلقة فينا (Foot, 2002,p.4)، إلا أن النظرة الانفعالية إلى القيم المرتبطة بالوضع المنطقية في "انكلترا"، لا تميز حلقة فينا بصورة خاصة (أير، 2008، ص 88)، إذ ساهم أشخاص آخرون في تفصيل وجهة النظر هذه (Stevenson, 1953,p.265) .

ومن الجدير بالذكر أن برود Broad لخص وجهة نظر انفعالية نهلهما من ورقة غير منشورة من دنكان جونز، إذ قال الأخير أن الطرق التي نستعمل الجمل بها للتعبير هي ذات طرق مختلفة قد

تكون تعجبية Interjectional وبلاغية Rhetorical ، أو أمرية Imperative للتعبير عن انفعالات المتكلم، فعند قول الجملة (انه لأمر جيد ان يضحي الانسان بنفسه) موازنة ل (مرحى)، اذ تستعمل الجملة لاستحضار نوع معين من الانفعال في المتلقي لحثه أو لثنيه عن عمل ما، وفي هذه الحالة أن نطق الجملة الأخلاقية في (لحن قول معين) سيجعل الهدف من استعمال المفاهيم الأخلاقية للتحفيز، وبالتالي يمكن استعمال هذه الأحكام للأمر أو لتحاشي أعمال معينة في المستمع وبناء على هذا الرأي المفاهيم الأخلاقية لا تعني شيئاً مثل معنى كلمات (الأبيض) و(الساحة)، والفرد الذي ينطق الجمل التي ترد فيها مثل هذه المفاهيم لا يستعملها للتعبير عن الاعتقاد، أما الفرد الذي يسمع هذه الأحكام يفهم أنها تعمل على الحث Exhorted أو الأمر Commanded أو التحفيز Stimulated الانفعالي (Broad, 1933,p.250)، لكن هذا المعنى لا يختلف عما أورده أوجدن وريتشاردز، فضلاً عن أن ما قدمه اثنين من الفلاسفة التحليليين للمعنى الانفعالي، وقد وجدت وجهات نظرهم بعض الأتباع مثل تحليل آير الذي أثار مناقشات ساخنة، في حين كرس رودولف كارناب صفحات وجيزة لوظائف التعبير الانفعالي للبيانات الأخلاقية (Stevenson, 1953,p.265)، وهذا يعني أن آير أول من مثل هذه النظرية فلسفياً في كتاب اللغة والصدق والمعنى .

أما في أمريكا فقد وجدت لها أكبر متخصص في شخص الفيلسوف تشارلز ستيفنسون 1937 (Borchert,2006 p.205)، إذ تناولها بالتفصيل لأول مرة (Ayer, 1966,p.22)، فحقق تحليلاً حاداً في كتابه الأخلاق واللغة (Ayer,1966, p.246). وعدت مساهمة كبيرة في فلسفته لتطوير المعنى الانفعالي للغة الأخلاق، لأنه كان الانفعالي الأول الذي وظف التحليل اللغوي بصورة جدية في دراسة الأخلاق في مؤلفاته الفلسفية (Dreier,2000, p.1001)، من خلال بحثين كتبهما في الثلاثينيات (المعنى الانفعالي للمفاهيم الأخلاقية) و(التعريفات الاقناعية)، ثم فصل آرائه في عمل لاحق مهم، اتسم بالأصالة والعمق لا يستهان به (الوقائع والقيم) (هوندرتس، ص464)، ثم أثارت هذه النظرية انتباه رسل حيث أحرز تقدماً بشكل ملحوظ في نظرية الرغبة وهي أكثر قبولاً، وأكثر اكتمالاً، وأقل عرضة لهجوم من منافسها (Potter,2006, p.1)، حتى أعلن في عام 1944م عن النظرية الانفعالية (Carey, 2009,p.66)، ومن الجدير بالذكر ان راسل معظم وجهات نظره الأخيرة في التحليل الأخلاقي تكاد تكون متطابقة مع آير (Stevenson, 1953,p.265) ، فضلاً عن جهود عدد من الفلاسفة المعاصرين في 1980 وأبرزهم سايمون بلاكبيرن الذي استمر في القول بالمبادئ المركزية للانفعالية (Borchert,2006,p.205). حتى أصبحت واحدة من أكثر النظريات عداءاً للنظرية الأخلاقية التقليدية خلال فترة ازدهار الفلسفة التحليلية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، فهناك إرث واسع النطاق يعترف اليوم بأهمية الانفعالات في الفكر الأخلاقي (Ibid, p.65).

ثانياً- دور الانفعالات في تشكيل الأحكام الأخلاقية:-

سجل المعنى الانفعالي حضوراً في البحث الأخلاقي منذ أن فرض المنهج اللغوي هيمنته على الدراسات الفلسفية المعاصرة وكان المعنى من أحد الاهتمامات المركزية فيها، "ولذلك كان من المتوقع أن يعمل الفلاسفة عبر هذا التوجه إلى أن ينظروا في تطبيق نتائجه على المشكلات الأخلاقية" (Ibid, p.58)، وأصبح من نافل القول أن الريادة تعود في هذا التوجه في الفلسفة المعاصرة إلى عمل أوغدن وريتشاردز في معنى المعنى، إذ يشير آير إلى "أنهما أحرزا بالفعل تقدماً ملموساً في اللغة بالتمييز بين الاستعمالين الوصفي والانفعالي للغة" (Ayer, 1955, p.27). "أفضل اختبار للوقوف على استعمال للمفاهيم أمرزي هو أم انفعالي؟ طرح التساؤل التالي (أصادق هذا أم كاذب بالمعنى العلمي؟) فمفاهيم مثل صادق تنطوي على معنى انفعالي وآخر رمزي... فثمة استعمال استثنائي لـ(صادق) لإثارة موقف القبول والاعجاب، واستعمال استثنائي لـ(كاذب) لإثارة مواقف الارتياب والاستنكار، وحين تستعمل هذه المفاهيم على هذا النحو ليس بالإمكان استبدالها بغيرها ما دامت استثنائية" (Ogden, 1923, p.151)، لكن الدراسات المعنية بالوظيفة الانفعالية للغة الأخلاق لم تكن في جميع الأحوال معلنة، وبناءً على ذلك بالإمكان تقسيم هذه الدراسات إلى قسمين:

أ- الوظيفة الانفعالية المتخفية للمعنى الأخلاقي:-

تتركز واحدة من أشهر الدراسات المتخفية للوظيفة الانفعالية للغة في مذهب برجسون في طبيعة المعرفة (Ibid, p.155)، إذ أشار الأخير أن "للانفعال مجال كبير في نشأة الأخلاق، فليس في استطاعة أية نظرية مهما تبلغ هذه النظرية من جمال أن تخلق الزاماً، ففي وسعي ألا أقبلها، إذا ما وجد جو الانفعال، فنفذ إلى فانه يثيرني، فأصنع ما يريد لا عن إكراه أو ضرورة، بل عن ميل طبيعي ما أحب أن أقاومه" (برجسون، 1945، ص53)، "والشاهد على ذلك العاطفة التي بشرت بها المسيحية، وأسماها بالمحبة، أنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين" (المصدر نفسه، ص54).

ويمكن القول أن نصف الأخلاق هو واجبات يفسره الالتزام من خلال ضغط المجتمع على الفرد، وهذا يوافق عليه في غير مشقة كبيرة، لأننا نعاني هذه الواجبات في الحياة الجارية، وقد صيغت في أوامر واضحة، فمن السهل أن ندركها في جزئها المرئي، وأن نهبط حتى نبلغ جذورها، فنكشف عن المطلب الاجتماعي الذي صدرت عنه، أما النصف الآخر من الأخلاق فيعبر عن حالة انفعالية، فلا يخضع المرء لضغط بل لجذب، وهذا ما يتردد كثيرون في التسليم به، وسبب ذلك أننا لا نستطيع في الغالب أن نجد هذا الانفعال الأصلي في أعماق الذات، فلقد خلف الانفعال ثقالة هذه الأوامر التي استقرت بالوجدان الاجتماعي، أبان ما كان يتكون الموقف الجديد للحياة، الكامن في هذا الانفعال، فنحن اذن أمام رماد انفعال قد انطفأ. وبناءً على ذلك نقول، إذا بددنا الظاهر حتى لمسنا الوقائع حتى لمسنا الثوب الذي لبسته في فكر "المفاهيم وعالم

اللغة" كل من الأخلاق الأولى والثانية وجدنا على طرفي هذه الأخلاق الضغط والتطلع (المصدر نفسه، ص55).

إن عناية برجسون في اللغة لم تكن بالقدر الكافي، وهذا ما جعل الوظيفة الانفعالية للغة تبدو متخفية، لكنه لم يهملها، إذ إن الفعل الأخلاقي الالزامي بوصفه انفعالاً يمتلك دلالة، ولا يمكن أن يفهم بذاته دون أن تفهم تلك الدلالة، ودلالته تتجلى في الواقع الاجتماعي الضاغط والجذب الصوفي المتطلع.

ب- الوظيفة الانفعالية المعلنه للمعنى الأخلاقي:-

كما سبق القول أن فلاسفة التحليل لا يتوانون عن اصفاء البعد العملي على دراسة الأخلاق من خلال معنى اللغة، حتى لا تبقى الأخلاق النظرية منفصلة عن واقعها، ولا تكتفي التوقف عند حدود التأمل الميتافيزيقي، بل تسعى لتحليله، ولذلك بدت وظيفة الفلسفة من هذا المنطلق تحليلية، أي مقابلة القيم بالوقائع، لذلك لم تتردد هذه الفئة أن تكون الوظيفة الانفعالية للمعنى معلنه.

وفي هذا السياق أعلن كرافت "أن الأخلاق المعاصرة، والمبادئ العليا للتقييم الأخلاقي تكون من خلال الانفعالات كما هي عند الأخلاقيين البريطانيين" (Kraft, 1981, p.153)، إذ أن اكتشاف الحقائق حول العالم الخارجي بوساطة النظر والاستماع عن أنفسنا، عن طريق الإحساس، وعندما تتم ملاحظة ذلك، تنشأ رغبة لقول إن الحقائق هي ما رأيت، ما سمعت، ما شعرت، ومن ثم، تقع الحقائق الأخلاقية في واحدة من هذه الفئات حتى من نفي الخصائص الأخلاقية الموضوعية بالإشارة إلى أن الصواب أو الخطأ هي مسألة ما يشعر به القلب، وليس ما ينظر إليه بالعينين أو تسمعه الأذنين، ولذلك يجب ألا ننسى أن المنفذ الوحيد إلى العالم الأخلاقي هو الانفعالات (Strawson, 2011, p049)، فالأخلاق إن كانت علماً فإنها تصف الانفعالات فحسب (Wittgenstein, 1997,p.67)، لأن مفاهيم الأخلاق غير قادرة على احتواء ونقل المعنى، بمعنى آخر أن التأكيد على شيء ما ذو قيمة فإنه تعبير عن ميل انفعالي ذاتي.

ولذلك طرح رسل السؤال التالي:- كيف تعمل الانفعالات على تشكيل الأحكام الأخلاقية؟ يكون ذلك بوساطة الانفعال الواعي من قبل الانسان بحاجاته ذات الدلالة الداخلية "فالإنسان ملئ بالانفعالات التي عملت في مجموعها على بقاءه" (راسل، ص9)، فلولا وجودها لما فكرنا في المقابلة بين (الحسن) و(السيء) اننا نحس بالألم ونرغب في التخلص منه، ونحس باللذة ونود أن نطيل أمدها، والشيء يكون حسنا اذا كان يشبع رغبة ما (راسل، ص47)، هكذا تبدو الأخلاق أكثر قابلية للفهم حالما نرى أنها مسألة انفعالات وليست حقائق، بل تبدو الانفعالات بهذا المعنى هي أسباب الحكم وليس نتائجه.

وفي السياق ذاته، يوضح رايل أهمية استعمال كلمة (الانفعالات) في الأخلاق ففي حياتنا نستعمل هذه الكلمة ونهتم في دوافع الآخرين عندما نشعر بالقلق على العلاقات الإنسانية

(McGuinness, 2011, p.178)، لأن الحياة الانسانية فيها الكثير من المواقف، التي تتخذ فيها الانفعالات موقفاً معيناً مبنياً على أساس مراعاة الاتفاق عند كل استجابة ملائمة في جميع الظروف، ويدخل في هذه الاستجابة انجاز الفاعل لفعل ما، لدرجة أن تصبح هذه الاستجابات طبيعية، وبطبيعة الحال اننا نشعر نفس ذلك الشعور بالانفعالات، ولما كانت هذه الأخيرة لا يكاد الآخر يطلع عليها بسهولة، أصبحنا نأمل في ايصالها اليه، وربما يشعر الانسان أن من الواجب التعبير عن تلك الانفعالات كلما حركته (أوستن، 1991، ص96)، والتي يصنفها المنظرين بوصفها العواطف والدوافع التي أوضحها الناس في سلوكياتهم بأعلى مستوى (Ryle,1951,p.84)، بيد أن النظرية الانفعالية لا تتناول موضوع الانفعالات الأخلاقية بصورة فجأة، بل تتناول هذا الموضوع بشكل رزين (Ibid, p.88)، فالتمثيلات المختلفة للانفعالية تميل إلى استيعاب الخطاب الأخلاقي بصورة وصفية بوساطة اللغة نفسها- كما يعتقد وستمارك (Feigl,1958,p.303).

عالج وستمارك المشكلات الأخلاقية في مؤلفين "أصل الافكار الاخلاقية وتطورها"، " النسبية الاخلاقية"، ويعتقد أن محاولات المذهب الحدسي والعقلي التي تسعى إلى الاهتداء إلى اسس لصحة موضوعية للأحكام الأخلاقية تتعارض مع حقائق التطور الأخلاقي، وهو يرى مثل هيوم الانفعال لا العقل هو أصل الاحكام الأخلاقية والمتحكم فيه، وقد حاول أن يتعقب أصل الظروف الانفعالية لأحكامنا الأخلاقية، فالانفعالات الأخلاقية تستمد من الاستحسان والاستهجان، بحيث يكون الاول أصل الانفعالات الايجابية، أما الثاني فهو أصل الانفعالات السلبية التي يندرج تحتها الشعور بالإلزام الخلقى، فالانفعالات دائما أسباب الأحكام لا نتائجها، وفضلا عن ذلك فإن الانفعالات ليست فردية، إنما هي اجتماعية في طابعها وأصلها، من منطلق ان وستمارك أكد على ارتباط علم الأخلاق بعلم الاجتماع (ميتس، 1963، ص138) - فالحكم الأخلاقي وصفه للعمل يعتمد على القواسم المشتركة للمنتمين إلى المجموعة نفسها، فالفرد يحدد خاصية الكذب لفعل (من الخطأ أن يقول الفرد غير الحقيقة)، وخاصية الخير (من الخطأ اعطاء المال لغير المحتاجين)، وطبيعة هذه الأعمال انفعالية ويترتب على ذلك ان المعرفة الاخلاقية والمعني الجوهرى للمفهوم تتم من خلال فحص ظروف استعماله (Westermarck, 2011,p.66)، وهو ما دعى فلاسفة اللغة العادية لا يتم بوساطة انتاج لغة مثالية لتفصح عن معناها، ولكن بوصفها انفعالات في اللغة العادية لا يتم بوساطة انتاج لغة مثالية لتفصح عن معناها، ولكن يجب أن ينظر إلى هذا الاستعمال فيما تؤديه قرينة المواقف اليومية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تكون المفاهيم مشتركة بين جميع الناس، سواءً أكانت هذه الآراء والمعتقدات لاهوتية أو سياسية أو أخلاقية أو جمالية وهلم جرا (Ryle,1951, p.160)، لذلك ينبغي الابتعاد عن قهر التفكير الأخلاقي على استعمال بعض المفاهيم المصطنعة التي قد تأتي من العلوم ومن الفلسفات التقليدية لأنها تشوّهه (رايس، ص30).

وبهذه الصورة فهم المعنى الانفعالي على أنه الواقع الانساني، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن المفاهيم الأخلاقية ان وجدت من دون المعنى المركب (المعرفي+ الانفعالي)، فهو دلالة على أن الواقع الانفعالي مصطنعا، وهذا الاصطناع هو ما يجعل من اللجوء الى معرفتها وتجربتها أمراً ضرورياً. وأول مصادر معرفتها، تعلم لغتها فالأفراد الذين يتكلمون تعبيراً جوفاء حينما يناقشون موضوعات الاخلاق اذا اختبرت مفاهيمهم الاخلاقية وتم التحقق منها تجريبياً، سنتمكن من اختبار النتائج الاخلاقية (Strawson, p.49). مع الأخذ بنظر الاعتبار ان وصف المفاهيم الأخلاقية بالجوفاء لا ينطبق على الافراد وحسب، بل أن بنثام يعتقد أن الفلاسفة أيضاً ساهموا في ذلك، فحقائق الأخلاق لها نوع آخر من المتاعب ومرجع هذا الى العبارات الأخلاقية الجوفاء التي وضعها الحدسيين والعقليين المثاليين الجوفاء (الطويل، 1976، ص 197)، ولإيضاح ذلك بالإمكان اللجوء الى السيميوطيقا لتحليل لغة الأخلاق الانفعالية.

ثالثاً- تحليل صيغ التعبير الانفعالي عن الاحكام الاخلاقية:-

إن الآراء المختلفة للنظرية الانفعالية التي أرجعت الأخلاق الى الانفعالات وتلتها بصور من التحليلات لتلك الأحكام. تحتم على المختص الا يقلل من دور فيلسوف اللغة على ما يقدمه من نفع وهو يقوم بالتحليل الذي يقضي على الخلط والتشوش، وهو بكل هذا يحتل مكاناً أساسياً لا غنى عنه بوصفه مرشداً للبشرية عن طريق التقدم الانساني على ما به من منعرجات والتواءات (فايجل، 1963، ص 183)، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان التحليل إذا أريد ألا تكون معالجته كارثية فإنه يحتاج الى فهم أفضل لوظائف اللغة (Ogden, 1923, p0154)، "إذ نستعمل الكلمات استعمالاً لا تحفظ فيه، فلو بحثنا طرائق استعمالها أمكننا أن نصل بالطريقة الاستقرائية الى أفضل طريق يطابق استعمالها، فكل ما تتطلبه لهذا هو أن نعرف كيف يستعمل الناس الكلمات التي نحن بصدد البحث في معانيها، لكننا إذا ما فرغنا من بحثنا ألفينا أنفسنا قد كشفنا عن حقائق لغوية فقط لا عن حقائق في الأخلاق (رسل، 1977، ص 166) وهذا يعني أن عدم التحفظ في استعمال الكلمات يأتي من عدم التمييز بين وظيفتي اللغة، ومن منطلق الحقائق اللغوية التي يشير إليها رسل يعني من بين ما يعني أن الكلمات لا معنى لها إلا عندما يستعملها الفرد، لأنها مجرد أدوات أو ألعاب على حد تعبير فتجنشتين.

ومما تجدر الإشارة اليه ان الاشخاص الذين يعتقدون ان البيانات الأخلاقية تحمل معنى حقيقياً اعتقادهم خاطئ، فمثلهم كمثل السائح الذي يقلد العبارات التي يسمعا، فعلى الرغم من أنه يستعمل الكلمات بشكل صحيح، وفي سياقها الصحيح، الا انه لا يعرف معناها بدقة (Potter, 2006, p.17)، لذلك من يتخذ خط النظرية الانفعالية سعيه النظري في المفاهيم الأخلاقية مثل اللذة، الخير، ينبغي، ويجب، على وجه الخصوص، ذلك أن لهذه المفاهيم حضوراً واضحاً في مفاهيم فلاسفة الأخلاق، ومن المهم تحليلها للوقوف على الاختلاف بين استعمالها المفترض واستعمالها الفعلي (Ryle, 1951, p.107)، وللوصول الى ذلك ينبغي تطبيق التحليل

السيميوطيقى أو علم الرموز وينقسم الى ثلاث أقسام، (السنتاطيقا، السيمانطيقا، البراجماتيقا) (محمود، ص 204).

أ-المستوى الأول التحليل البنائي Syntax :-

"الدراسة التي تعني تحديد العلاقات التي تقوم بين الكلمة وسائر الكلمات التي تشترك معها في بناء الجملة الواحدة، اذ البحث السنتاطيقي ينصرف الى البناء اللفظي للغة دون الالتفات الى ما وراء هذه الالفاظ اللغوية من مدلولات خارج المتكلم أو داخله" (محمود، 1993، ص 205). وقد طبق بعض فلاسفة اللغة هذا المستوى من التحليل على المفاهيم، أو على الجمل وهو ما نقرؤه في نص أوستن اذ قال: اهتم الفلاسفة منذ زمن طويل بمفهوم الخير على اعتبار أنه المفهوم المركزي في الأخلاق (أوستن، 1991، ص 184)، إلا أن مفهوم الخير غير قابل للتحليل (Strawson, 2011, p.51)، فلفظ خير لا يصف، ولا يخبر بشيء، ولا يثبت أمراً ما على وجه الاطلاق، ومن ثم فهو لا يدل على تصديق أو تكذيب (أوستن، 1991، ص 16)، وقد نحدد بعض المفاهيم الأخلاقية بوساطته مثل يجب (Ibid, p.51)، وهو ما دعى فلاسفة اللغة الى القول ان مفهوم يجب غير قابل للتحليل أيضاً، أي لا يمكن تعريفه تعريفاً لفظياً وهذا يعني أن هذه الكلمة وأية كلمة أخرى جزء من لغة الأخلاق ليس بالإمكان تحليلها (رسل، ص 63)، "وليس هذا وحسب بل ما يترتب على ذلك أنه لا وجود لضرورة لقول إنه ينبغي أن يكون كذا وكذا (Wittgenstein, 1997, p.67)، لأنه ليس من الواجب على الناس أن يفعلوا أشياء لا يرغبون القيام بها (Feigl, 1958, p.282)، والتظاهر بموضوعية المفهوم هو محاولة للخداع القصد منها اضعاف صفة السلطة القانونية على الرغبات (رسل، ص 63)، وهكذا ننظر الى الفعل الارادي على إنه فعل ثانوي، أي استجابة لأمر تصدره الينا سلطة عليا، أما ما هي هذه السلطة فهذا ما لا نعرفه، والأمر الأخلاقي يتميز بأنه فعل ارادي يقترن بشعور الالتزام وهو شعور نعهه منطبقاً علينا وعلى الأشخاص الآخرين (ريشباخ، ص 248).

ولا يقتصر التحليل البنائي "السنتاكس" على المفاهيم وانما بالإمكان تطبيقه على العبارات من خلال مرادفة عبارة بعبارة أخرى. اذ يفرق كارناب بين اقرار معيار واقرار حكم القيمة، ويعتقد انه فرق في الصياغة، فالمعيار يعبر عنه بصيغة الأمر (لا تقتل)، والحكم المرادف سيكون حكم قيمة (القتل شر)، والفرق في الصياغة مهم فالمعيار من الوجهة النحوية له صيغة الأمر، وهو جملة انشائية، أما جملة القيمة تعبر عن رغبة ولها من الناحية النحوية شكل الجملة الخبرية (Carnap, 1966, p.79)، وكذلك الحال عندما يقول الانسان هذا خير في الظاهر يبدو أنه يستعمل أسلوباً تقريرياً، مثل قوله (هذا مربع) ولكن ما يعنيه (أتمنى أن يرغب الناس فيما أرغب)، مجرد تأكيد لأمنيته الشخصية، ولكن الرغبة التي يرنو الى تحقيقها تتسم بالعمومية

والشمول (رسل، ص 236)، وهذا المفهوم قد يوضع في مثل هذه العبارة (اللذة حسنة) يمكن التعبير عنه بصورة أوضح لو وضع في قالب لغوي آخر (فلتحبي اللذة) (رسل، ص 97). يبدو أن اقتصار البحث على الطريقة التي تتكون بها العبارات اللغوية، يجعل ليس من الضروري استعمال مفاهيم الصواب والخطأ، لكن التحليل اللغوي في مجال الأخلاق لا يكتمل الا اذا تحول البحث الى عالم الاشياء، وهنا تظهر مشكلة العلاقة بين الشيء ومعناه.

ب-المستوى الثاني التحليل الدلالي Semantics:-

وهو المستوى الذي يُعنى بدراسة العلاقات بين الرمز والشيء الذي يرمز اليه صراحة أو ضمناً، فان وصفت الجملة الواقع، كانت العلاقة بين الجملة ومدلولها الخارجي علاقة سمانطيقية، ويتناول هذا التحليل كيفية الدلالة التي تكون الالفاظ، والبحث في الاستنباط المنطقي، أي كيف نستنبط قضية صادقة من أخرى صادقة. (محمود، 1993، ص 209). والسبب وراء تطبيق هذا النوع من التحليل يعود الى أن الفلاسفة شرعوا في الآونة الأخيرة الى تمحيص الكيفية التي نستعمل بها المفهوم، والقصد الذي به ننجزه (أوستن، 1991، ص 184)، وبناءً على ذلك، فالنطق بالمفهوم هو انجاز لفعل ما (المصدر نفسه، ص 16)، بل انه وسيلة تضع المتحدث أمام مباشرة الفعل (رايس، ص 101)، ويفهم على أن الموافقة الأخلاقية من خلال انفعال الثناء الأخلاقي، وهو نوع من الجزاء، إذ يتم قبوله من دون تردد، وعلى العكس من ذلك الرفض الأخلاقي الذي هو شكل من الاستياء (Westermarck, 2011, p.62). فعلى سبيل المثال يستعمل مفهوم اللذة بوصفه انفعالاً للدلالة على أنه علامة لشيء مطلوب لكنه غائب وهو يشير للدلالة على أنواع خاصة من الحالات المزاجية للفاعل، مثل الغبطة والفرح واللهو والسرور (Ryle, 1951, p.107)، فعندما يوصف الفرد بأنه مسرور، حزين، فرح، يجب أن يلاحظ أن هذه الحجة تأخذ أمراً مسلماً به لشرح الفعل بوصفه فعلاً عن دافع معين، أي إعطاء تفسيراً سببياً للسبب الكامن وراء الفعل (Ibid, p.84). هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إذا كان السيمانتكس معني بالاستنباط المنطقي، فريشناخ يعتقد أن علاقة (إذا...فإن) هي قابلة للبرهان، والنتيجة المترتبة على ذلك ان الاحكام الأخلاقية شأنها شأن الاستنباطات الرياضية، تنطوي على عنصر منطقي قابل لأن يحلل بخطوات منطقيّة، فبديهيات الأخلاق شأنها شأن البديهيات الرياضية ينبغي أن تميز من النظريات الأخلاقية المستنبطة منها أي الموضوعية في صيغة "إذا...فإن"، وكل ما يستطيع أن يقوم به منهج الاستنباط في ميدان الأخلاق هو أن ينقل السؤال عن الصواب من النظريات الى البديهيات (ريشناخ، ص 61)، وهذا النوع من القضايا هو قضايا القيمة المشروطة أو كما عبر عنها فايجل القضايا الوصلية اي التي يتوقع ان ينتج عنها نفع، "فالأمر الذي له معنى واقعي فهو القيم الوصلية، التي تحددها الحاجات، والتي تثبت بالتجربة من العلاقات بين القيم والوسائل، وهنا يكون لمسائل الصدق والكذب معنى مفهوم" (فايجل، 1963، ص 180).

ج-المستوى الثالث التحليل التداولي Pragmatics :-

بما ان البحث في الرموز اللغوية، يمثل بحثاً بصورة من صور السلوك البشري، كان من المهم البحث البراجماتيقي للغة، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن التحليل في هذا المستوى يعبر عن جوانب عدة، مثل التعبير عن عقائد قائلها، فقول الجملة لا لوصف شيئاً خارجياً بل للتعبير عن اعتقاد داخلي، فهي اذن علاقة بين الجملة وبين حالة عقلية، أو ميل شخصي عند قائلها، والجملة الواحدة التي يقولها متكلمون مختلفون قد تعبر عن حالات عقلية مختلفة مع ان مدلولها الخارجي واحد، وباختصار هي دراسة العلاقة بين الرمز والشخص الذي يستعملها . "محمود، 1995، ص211"

ومن هنا اعتقد فلاسفة اللغة أن الفلاسفة الأخلاقيين يُعبرون من خلال مفهوم الخير والمفاهيم الأخرى عن رغباتهم لأنها تتصل بحالاتهم الذهنية ولكن يمكن دحضها عن طريق ابراز الدليل على أن هذا الفيلسوف ليست لديه الرغبة التي ينسبها الى نفسه (رسل، ص 231). فقوة توجيهات الفيلسوف يستمدّها من قوة كلمة واحدة خداعة ذات سيادة إنها كلمة "ينبغي"، فاللفظ نفسه يحمل معنى منفراً (الطويل، 1953، ص 103)، وهكذا تبدو الأشياء التي نعتقد أنها الزامات لا تمثل الزامات في الواقع، لكنها تجسد نمطا معيناً من التفكير (Feigl, 1958, p.302). مع الأخذ بنظر الاعتبار ان تحليل المفاهيم الالزامية مثل مفهوم ينبغي لا يفضي الى عدم الاعتراف ان البيان الذي يتضمنه هو ليس بياناً أخلاقياً ولا يكون كذلك الا بشرط واحد بان يكون انعكاسي الاشارة ومثال ذلك أننا نقول ينبغي على الدولة أن تفتح الباب للمهاجرين، ومعنى ذلك إن هدف مساعدة المهاجرين الذي ستقوم به الدولة والذي نؤمن به هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف، وعلى ذلك فان المفهوم الأخلاقي للفظ (ينبغي) بالمعنى اللزومي يمكن ارجاعه الى استعمال مفهوم ينبغي بالمعنى الارادي، أما اذا لم يكن المتكلم يشارك الاعتقاد في هذا التوجيه فقدت كلمة ينبغي طابعها الأخلاقي، وهذا المعنى الانعكاسي الاشارة هو أساس لا غنى عنه في التحليل العلمي للأخلاق (ريشنيباخ، ص 253).

ومن هنا يتضح الفارق بين الجمل المعرفية وبين التوجيهات، فاذا قيلت جملة معرفية ووافقت عليها فاني أجب بنعم، أما اذا قلت أن البخل رذيلة فاني أعبّر عن موقفي بقولي هذا صحيح "صواب"، والقصد هو توجيه والتعبير عن الارادة أي "وددت لو لم يكن هناك بخل"، فالرد الايجابي على التوجيه ليس تأكيدا من النوع المعرفي وانما هو يتألف من فعل ارادي ثاني يعبر عن تصريح يوضح أن المستمع يشارك المتحدث برغبته، ومن الصفات المميزة للتوجيه الأخلاقي أننا نعهده أمرا (الطويل، 1953، ص 103)، هكذا يبدو " التوجيه الأخلاقي هو القوة الدافعة لكل تطور أخلاقي، من خلال الاحتكاك بين الارادات والرغبات، وهذه القوة تقوم بدور رئيس في تغيير التقويمات الأخلاقية، في تأكيد رغبات المرء أمام رغبات الآخرين، من خلال صور القوة، فمنها صورة قوة الكلمة المنطوقة والمكتوبة (ريشنيباخ، ص 262)، ولذلك أظهر التحليل المنطقي للأحكام الأخلاقية، أظهر أنها تتعلق بحالات للتعبير عنها بالاستثارة الانفعالية، وفي استعمال بعض المفاهيم مثل ينبغي، واجب، يكمن عنصر التوجيه في أحكام القيمة الأخلاقية، فتحليل القاعدة الذهبية (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك) فإنها تجد قوتها في دعوتها الانفعالية، ولا يمكن استنباطها من معرفة الوقائع، فهي ليست صادقة ولا كاذبة، انها دعوة، احياء، اقتراح، تحريض،

أو أمر (فايجل، 1963، ص180)، والكتاب المقدس يقول (حب جارك كما تحب نفسك) أو (وددت لو أن الناس أحبو بعضكم بعضاً) وهذه عبارات أخلاقية من الواضح لا يمكن اثبات صحتها أو عدم صحتها عن طريق جمع الوقائع (رسل، ص 17).

وعلى الرغم من أن وصف المستوى العالي لسلوك الانسان يتطلب الإشارة إلى معنى الانفعالات وهذه الإشارة تنطوي على استبطان الحالات الداخلية من الدوافع والمزاجية ونلمس هذه الدوافع في الظروف الايجابية بشكل مباشر، نسمع ونفهم الاعترافات الحوارية، ونغمات الصوت، نرى ونفهم الإيماءات وتعبيرات الوجه، حتى نغمات الصوت والإيماءات والتجهيم هي من وسائل التواصل (Blackburn, p118) نحن ننتجها ونتعرف على انتاجها ليس من الالتحاق بالمدارس، ولكن من التقليد، ونعرف كيف نضعها في كيفية زائفة، ونعلم كيف نتجنب تقديم أنفسنا إلا بعد رسم الأفعنة، لذلك الانفعالات ليست هي من بين التنوّهات المباشرة للوعي أو بين موضوعات التأمل لأنها لا تصدر بصورة مباشرة (Ryle, 1951, p.115).

ويبدو ان فلاسفة اللغة استطاعوا الوصول الى هذا المستوى من التحليل للجملّة الأخلاقية لتمييزهم بين الطريقة المادية والصورية، فهذا التمييز اثار الانتباه الى ان العديد من القضايا الفلسفية قضايا مقنعة، لكنها تتحدث عن اللغة، فالقضايا المادية تهتم باستعمال المفاهيم، وما يجعل العبارة عبارة تجريبية، ليس امتلاكها لصورة معينة، بل لكونها تستعمل لأثبات تجربة ما (Ayer, p.26).

مما تقدم يتضح ان النظرية الانفعالية لدى مختلف الفلاسفة على اختلاف توجهاتهم ارادوا ان يعيدوا للعنصر النفسي حضا في الدراسة الفلسفية، ولذلك جعلوا من الانفعال بحد ذاته فعلا ولو (بكلمة)، فالكلمات الانفعالية لغة متعدية لا تكتف بذاتها، بل في تضاعيفها، لانها لغة مولدة لأفعال لا تعد ولا تحصى، قد تبدأ بفرد لكنها تؤثر بصورة لا متناهية في الآخرين، وبهذه الطريقة تصبح المفاهيم الانفعالية قادرة على احتواء ونقل المعنى، وايضا لا يبدو الانفعال اضطرابا في مجرى تيار الوعي، بل هو الوعي ذاته لأنه ذو دلالة، لكن التحليل الأخلاقي لا يكتمل حتى لو كان صحيحا بمستوى واحد من التحليل، فينبغي أن يشتمل على أنواع المستويات الثلاث، بل أن هناك تداخلا بين المستويين الثاني والثالث البراجماتكس . الخاتمة:-

ارتأى الباحث أن يتوج الدراسة بخاتمه يناقش فيها أهم النتائج التي توصل اليها، وارتأى أيضا أن يقدم تعليقا اجماليا لموضوع الدراسة لئلا يغن تشعب واطناب التعليق عن فهم النتائج التي يفضي اليها بعد تسليط الضوء على بعض المشكلات وقراءتها بعناية، وهذا ما يحقق فهما دقيقا، أو الوصول الى اجابات تميل أن تكون قريبة من الصحة وتعدّ أمرا ممكنا .

ولا يعدو كل ما تقدم إلا صورة من صور حضور الانفعالات في البحث الفلسفي، وتأكيد القول على حضورها في البحث الفلسفي وتبديد القول أن الانفعالات ليست موضوعا فلسفيا، وفيه دلالة واضحة أن الانفعالات ليست حكرا على العلوم النفسية، فالفلسفة حين تتناول هذا الموضوع بأدواتها، ترفعه الى مرتبة تسمو على التفكير المادي، وما أدواتها التي بدأت تفصح عن حضورها في البحث الأخلاقي إلا اللغة .

إذن مع الفلاسفة الانفعاليين كانت بدايات تنفيذ الأنساق التأميلية للفلسفة الخلقية، وتأسيس وجهة نظر أخلاقية مستقلة متسايرة مع الاتجاه اللغوي الذي حدد مهمة النظرية الأخلاقية لترتقي إلى المنهج الوصفي من خلال وصف المفاهيم الأخلاقية، وهو ما أقبلت عليه الأخلاق في الفلسفة المعاصرة، فلم ينظروا إلى الانفعالات على أنها اضطراب في الوعي، بل أنه الطبيعية الإنسانية الذي يشكل الواقع الإنساني وبه يسعى لتشكيل صورة للعالم بأسرة لأنه لغة، بل هو لغة ذات دلالة إن كان بوعي، فهو تأكيد لحضور الفاعل والمنفعل على حد سواء لأن الإنسان يقع بين قطبي الانفعال.

هكذا روجت النظرية الانفعالية في الفلسفة المعاصرة لدور الانفعالات في تشكيل الأحكام الأخلاقية ولذلك فهي تحلل تركيبياً، دلاليًا، وتداولياً. وتشارك النظرية الانفعالية مع سائر النظريات المعيارية بأن الإنسان وسلوكه يتقاسمان اهتماماتها، كما أنها تنفرد عن تلك النظريات منذ البداية بالقول أن الانفعالات هي مصدر الأفعال بدلاً من العقل، حتى ظن البعض من الصعوبة بمكان إن لم يكن مستحيلاً أن يلتقيا. فكوجيتو ديكرت (أنا أفكر) بمعنى أن التفكير هو الذي يوجد الفعل الأخلاقي لم يعد مستساغاً منطقيًا، لأن التقييم الأخلاقي يتضح بصورة أكثر في الأفعال الصادرة عن الانفعالات لا من الانفعال الصادر عن الوعي، بيد أن تأسيس فلاسفة اللغة للأخلاق على الانفعالات كان من نتائج تقسيمهم للغة ومعناها إلى انفعالية ووصفية، ويبدو أنهم لجأوا إلى اللغة الانفعالية لأن من الأفكار الملحة ليس هناك من لغة أخرى تناسبها. فهناك بون شاسع بين السمات المنطقية للغة وطاقتها الانفعالية ومخزونها التعبيري، ونظرية ما وراء الأخلاق هي نظرية في اللغة في بعض جوانبها.

وبهذه الطريقة كانت النظرية الانفعالية أول نظرية أخلاقية أسست للأخلاق الفردية، فالإنسان كفاعل أخلاقي يقع بين قطبي الفعل والانفعال فأتاحت للفرد أن يتميز عن الجماعة بعد ما تم إقصاء الخطاب الأخلاقي المتعالي الكوني.

الهوامش:

- 1- أوستن، نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، 1991.
- 2- آير، الفريد، حلقة فينا، ضمن كتاب ثورة البحث عن المعنى "مقالات في فلسفة القرن العشرين"، تحرير الفريد جولز آير، ترجمة فاتنه حمدي، دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، 2008.
- 3- برجسون، هنري، منبع الأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبدالله الدايم، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة الأولى، 1945.
- 4- راسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة أحمد عبد الكريم، مراجعة حسن حمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 5- راسل، الدين والعلم، ترجمة رمسيس عوض، دار الهلال.
- 6- راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.
- 7- رايس، فليب بلير، في معرفة الخير والشر، ترجمة عثمان عيسى شاهين، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك.
- 8- ريشنباخ، هانز، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا.
- 9- الطويل، توفيق، فلسفة الأخلاق نشأتها تطورها، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، 1976.

- 10- الطويل، توفيق، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الاخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الاولى، 1953 .
- 11- فايجل، هيربرت، التجريبية المنطقية، ضمن كتاب فلسفة القرن العشرين (مجموعة مقالات في المذاهب الفلسفية المعاصرة)، ترجمة عثمان أمين وزكي نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، 1963 .
- 12- محمود، زكي نجيب، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1993
- 13- ميتس، رودلف، الفلسفة الانجليزية في مائة عام، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، مصر، 1963 .
- 14- هوندرتس، تيد (المحرر) ، دليل اوكسفورد للفلسفة، ترجمة نجيب حصادي، تحرير الترجمة منصور محمد البابور ومحمد حسن أبو البكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي، الجزء الثاني، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا .
- 15- ياسين، نوال طه، اللسانيات الحاسوبية وتطبيقاتها المعرفية في الترجمة، بحث منشور في مجلة اكليل للدراسات الانسانية، المجلد(6)، العدد (23)، الجزء (3) /أيلول/ 2025 .
- 16-Audi, Robert,(General Editor),the Cambridge Dictionary of Philosophy Second Edition,1999.
- 17-Ayer, A. J., Philosophical Essays, Macmillan Press & UK, 1954 .
- 18-Ayer, A. J. , What is Communication?, in Studies in Communication (Editors) A. J. Ayer& Others Introduction by B. Iforevans&Others, London, 1955 .
- 19-Ayer, A. J. (Editors), Logical Positivism, The Free Press, USA, 2nd Printing, 1966 .
- 20-Ayer, A. J., Freedom and Morality and Other Essays, Clarendon Press, Oxford, 1984 .
- 21- Blackburn, Simon, Ruling Passions A Theory of Practical Reasoning, Oxford University Press, First Published,1998
- 22-Borchert, Donald m, (Editor in Chief), Encyclopedia of Philosophy, 2 n dediton, Thomson Gale, USA, 2006.
- 23-Brink, David O., Moral Realism and the Foundations of Ethics, Cambridge University Press, Cambridge &New York,First Published,1989.
- 24-Broad, C. D., "Is Goodness the Name of a Non-Natural Quality?", Proceedings of the Aristotelian Society ,1933.
- 25-Carey, Rosalind,& John Ongley, Historical Dictionary of Bertrand Russell's Philosophy, USA, 2009 .
- 26-Carnap,Rudolf,the Elimination of Metaphysics Through Logical Analysis of Language" in Logical Positivism, the Free Press, United States of America, Second printing, 1966 .
- 27-Dreier, James, Stevenson,C.L., in Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Taylor & Francis Routledge, published in the USA and Canada, First published ,2000 .
- 28-Feigl, Herbert, &Michael Scriven Ed, V. I The Foundations of Science and the Concepts of Psychology and Psychoanalysis, University Of Minnesota, USA, 1956.
- 29-Feigl, Herbert, Minnesota Studies in the Philosophy of Science, Vol. II, Concepts, Theories, and the Mind-Body Problem, Edited by Michael Scriven and Drover Maxwell, Minnesota university, USA, 1958.
- 30-Fisher, Andrew, Metaethics An Introduction, First published in Acumen, Durham, UK,2011.
- 31-Foot, Philippa, Moral Beliefs, in Theories of Ethics, (Editing by Philippa Foot), Oxford University Press, Reprinted 2002 .

- 32-Gensler, Harry J., Earl W.Spurgin, & James C.Swindal, Ethics Contemporary Readings, Routledge, UK, First published, 2004 .
- 33-Hume, David, The Philosophical Works Of David, Hume, In Four V., Vol, Iv, London .
- 34-Kirchin, Simon, Metaethics, Palgrave Macmillan, England, 2012 .
- 35-Kraft, Victor, Foundations for A Scientific Analysis of Value, , Edited by Henk L. Mulder, Translated by Elizabeth Hughes Scheewind, Published by D. Reidel Publishing Company, Holland. 1981.
- 36-MacIntyre, Alasdair, After Virtue, : A Study in Moral Theory. 3rd ed. University of Notre Dame Press, 2007 .
- 37-McGuinness, B.F. (Editor) Friedrich Waismann, Causality and Logical Positivism, Springer, London New York, 2011 .
- 38-Miller, Alexander ,An Introduction to Contemporary Metaethics, Polity press, Cambridge, 2003,
- 39-Ogden, C. K. and Richards, I. A., the Meaning of Meaning (A Study of the Influence of Language Upon Thought and of the Science of Symbolism), A Harvest Book, New York, First Published, 1923
- 40-Potter, Michael, M, Bertrand Russell's Ethics, Continuum, UK, 2006.
- 41-Ryle, Gilbert, The Concept of Mind, Hutchin Son's University Library, UK, Reprinted, 1951..
- 42-Smith, Michael, Emotivism, the shorter routledge encyclopedia of Philosophy edited by Edward Craig, Routledge, First published 2005 .
- 43-Stevenson , Charles L. ,Ethics and Language, Seventh printing, London: Oxford University Press, 1953
- 44-Strawson, P. F., Ethical Intuitionism: Pro and Con, iN The Moral Judgment Readings in Contemporary Meta-Ethics, Edited by Paul W. Taylor, INC., London, 2011 .
- 45-Warnock, G.J., Contemporary Moral Philosophy, Macmillan Press, First published, 1967.
- 46-Westermarck E. A., Moral Emotion and Moral Judgment, iN The Moral Judgment Readings in Contemporary Meta-Ethics, Edited by Paul W. Taylor, Prentice-Hall International, INC., London, 2011 .
- 47-Wittgenstein, Ludwig, Lecture on Ethics, Moral Discourse and Practice some Philosophical Approaches, Oxford University Press, New York, 1997.

The Emotional Function of Ethical Language - An Analytical Study

Prof.Dr. Nawal Taha Yaseen

College of Arts - University of Basra



nawaltaha.yaseen@gmail.com

Keywords: Emotional language, semiotics, ethics

Summary:

Despite the aristocratic character inherent in moral language, its linguistic forms have been subjected to rigorous linguistic analysis. Philosophers of language, across their diverse orientations, aim to analyze the moral discourse of both the philosopher and the layperson to clarify its various usages. However, elucidating such usage necessitated an investigation into its function. Philosophers of language distinguished between two primary functions: the descriptive function and the emotive function.

They maintained that the former was the prototypical function worthy of philosophical inquiry, attempting to forcibly constrain all forms of linguistic expression within the mold of the declarative statement. Their intent was to employ language as a symbolic tool denoting the facts of the external world. Nevertheless, these philosophers eventually recognized the plurality of linguistic applications; hence, the emergence of emotive language, which encompasses imperatives, prohibitions, and optatives—the category to which moral language belongs. Consequently, a readiness emerged to evaluate all forms of discourse, provided that terminology is not employed loosely .